د. بن عبد الله واسيني - جامعة المسيلة - الجزائر

آلية تطبيق المنهج التداولي على الرواية التاريخية في الجزائر
رواية الأمير لواسيني الأعرج أنموذجا

الملخص

يمثل البحث مقاربة تداولية للرواية الجزائرية التي جعلت من التاريخ أرضية لها ويجعل رواية الأمير لواسيني لعرج أنموذجا له؛ حيث سيبحث في الآليات التي يستعملها المنهج التداولي في تحليل النصوص. وسيركز على الفعل الروائي وعلى السياق وغيرهما من الآليات.

الكلمات المفتاحية

التداولية، الرواية التاريخية، واسيني لعرج. الأمير.

المقدمة

الحمد لله الذي علّم الإنسان ما لم يعلم وجعل الكون كتابا مفتوحا للمتأملين والمتدبرين، ودعا المؤمنين إلى التبصر والتدبر والتفكر في آياته التي لا يحدها حد ولا يحصرها عدد. فهو سبحانه في كل شيء له آية.

والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله مدينة العلم ورسول الهداية وقائد الغر المحجلين وعلى آله وصحبه وسائط المعرفة، وأوعية العلم الذين سمعوا فوعوا ورأوا فوصفوا وسئلوا فأجابوا ولم يكتموا. فرضوان الله عليهم أجمعين.

أما بعد فهذه دراسة لموضوع قديم حديث؛ قديم في تجاربه واحتكاكه بالكون والطبيعة ونظر العلماء في أطرافه الواسعة المتنوعة، ولكنه مستحدث في اصطلاحاته العديدة وتنوع مجالاته واتساع ميادينه إنه حقل علمي واسع متنوع هدفه إدراك العلاقات بملفوظاته وسياقها. ومن أجل ذلك يستند إلى علوم مختلفة ولذا يرى البعض أنه لم يستقر بعد علما خاصا له أدواته المعرفية وأجهزته المميزة

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث

التداولية، الرواية التاريخية. المطلب الأول: التداولية

إن لفظة (التداولية) أو من أكثر الألفاظ تداولاً في الدرس العربي المعاصر، بداية أودّ أن أبيّن أنه ترجم مصطلح (Pragmatique) بعدة كلمات باللغة العربية، فهناك: الذرائعية، والتداولية، والبراكماتية، والوظيفية، والاستعمالية، والتخاطبية والنفعية، والتبادلية... لكن أفضل مصطلح، في منظور كثير من الباحثين، هو التداولية؛ لأنه مصطلح شائع بين الدارسين في ميدان اللغة واللسانيات من جهة؛ ولأنه يحيل على التفاعل والحوار والتخاطب والتواصل والتداول بين الأطراف المتلفظة من جهة أخرى(01).

ويجدر بنا في البداية أن نعرّف التداولية في اللغة والاصطلاح.

أولا. التداولية لغة

إن أصل التداولية في اللغة يرجع إلى الجذر دول، ويعني العقبة في المال والحرب، قال ابن منظور في لسان العرب:" الدولة والدولة العقبة في المال والحرب سواء ... والجمع دُول دِول(02).

وقد جاء في القرآن الكريم: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ}(03). وقال {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ}(04). قال الطبري في تفسيرها:" نجعلها دُوَلا بين الناس مصرَّفة... وذلك أن الله عز وجل أدال المسلمين من المشركين ببدر، فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين. وأدال المشركين من المسلمين بأحُد، فقتلوا منهم سبعين، سوى من جرحوا منهم. يقال منه: أدال الله فلانًا من فلان، فهو يُديله منه إدالة، إذا ظفر به فانتصر منه مما كان نال منه المُدَال منه." (05).

وفي الحديث عَنْ أَبِي سَلَّامٍ، أَنَّهُ كَانَ فِي مَسْجِدِ حِمْصَ فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَقَالُوا: هَذَا خَدَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَامَ إِلَيْهِ فَقَالَ: حَدِّثْنِي بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَتَدَاوَلْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ الرِّجَالُ".(06) أي لم يتناقلْه الرجال وتَرْويه واحداً عن واحد ، إنما ترويه أنتَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم".

فعلى هذا الأساس يكون مدار اللفظ في مادة دول هو التناقل والتحول بعد أن كان مستترا في موضع ومنسوبا إليه وقد اكتسب مفهوم التحول، ولعل الصيغة الصرفية التي عرف بها تجعله أكثر دلالة على التناقل والتحول وتعدد الحالة. وهي الدلالات التي تناقلتها المعاجم الأخرى، فقد قدمها الزمخشري في أساس البلاغة على أنها التناقل و" الله يداول الأيام

بين الناس، مرة لهم ومرة عليهم.. والماشي يداول بين قدميه: يراوح بينهما، وفعلنا ذلك دواليك أي كرات بعضها في أثر بعض"(07).

ويمكن أن نخلص إلى أن للمفهوم مجالات منها:

- الاسترخاء للبطن بعد أن كان في حال أخرى (أندال البطن)
- التحوّل من مكان إلى مكان (أندال القوم)
- التناقل من أيدي هؤلاء إلى أيدي هؤلاء (أندال المال)
- الانتقال من حال إلى حال (الحرب)
- التمكين من حال دون آخر (الدولة) ومنه فهي تعنى بما يفعل الانتقال والتعدد

يلاحظ من هذه الدلالات والمعاني الدالة على التناقل والتحول من حال إلى حال أنها تتوافق مع طبيعة اللغة ذاتها كونها حمالة أوجه وكونها ظاهرة متحولة ومتداولة تعتمد معانيها على مستوى السياق الذي يضمن حدا أقصى للمعاني اللفظية القارة، فاللغة منتقلة بين الناس يتداولونها بينهم منذ الأبد إلى الأزل.

ومن أجل ذلك يرى بعض الباحثين في اللسانيات أن مصطلح (تداولية) أكثر ثبوتا من المصطلحات الأخرى الذرائعية، النفعية ... وغيرهما.

ثانيا.التداولية اصطلاحا

إن أقرب حقل معرفي إلى "التداولية La pragmatique "في منظور كثير من الباحثين هو "اللسانيات". وإذا كان الأمر كذلك فإنه من المشروع البحث في صلة هذا العلم التواصلي الجديد باللسانيات وبغير اللسانيات من الحقول المعرفية الأخرى التي يشترك معها في بعض الأسس المعرفية ،نظرية كانت أم إجرائية(08).

والتداولية ليست علما لغويا محضا، بالمعنى التقليدي، علما يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال؛ ويدمج، من ثمَّ، مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة "التواصل اللغوي وتفسيره". وعليه، فإن الحديث عن "التداولية" وعن "شبكتها المفاهيمية" يقتضي الإشارة إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول المختلفة لأنها تشي بانتمائها إلى حقول مفاهيمية تضم مستويات متداخلة، كالبنية اللغوية ،وقواعد التخاطب، والاستدلالات التداولية، والعمليات الذهنية المتحكمة في الإنتاج والفهم اللغويين، وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال... إلخ(09).

والتداولية تمثل حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة، منها: الفلسفة التحليلية، ممثلة في فلسفة اللغة العادية، وعلم النفس المعرفي ممثلا في "نظرية

الملاءمة" Théorie de pertinence" على الخصوص، ومنها علوم التواصل، ومنها اللسانيات بطبيعة الحال.

وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر بين الدارسين حول "التداولية" وتساؤلاتهم عن القيمة العلمية للبحوث التداولية وتشكيكهم في جدواها... فإن معظمهم يقر بأن قضية التداولية هي "إيجاد" القوانين الكلية للاستعمال اللغوي، والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي ، وتصير "التداولية" جديرة بأن تسمى: "علم الاستعمال اللغوي".

وقد تنوعت مصادر استمداده إذ لكل مفهوم من مفاهيمه الكبرى حقل معرفي انبثق منه .ف "الأفعال الكلامية" ،مثلا، مفهوم تداولي منبثق من مناخ فلسفي عام هو تيار "الفلسفة التحليلية" بما احتوته من مناهج وتيارات وقضايا وكذلك مفهوم« نظرية المحادثة» الذي انبثق من فلسفة بول غرايس Grice وأما «نظرية الملاءمة» فقد ولدت من رحم علم النفس المعرفي، وهكذا يعد موريس أول من أعطى تعريفاً للتداولية حيث اعتبرها جزاءً من السيميائية عندما ميز بين ثلاثة فروع للسيميائية هي: التركيب ويعني به دراسة العلاقات الشكلية بين العلامات والدلالة ويعني بها دراسة علاقة العلامات بالأشياء؛ والتداولية ويعني بها دراسة علاقة العلامات بمؤوليها(10).

وتوجد محاولات حديثة لربط ما طرحه موريس بالسياق الذرائعي لجالس بيرس. وخصوصاً مفهوم بيرس عن العلامة والفكر. يقول بيرس"لا نملك القدرة على التفكير بلا علامات"(11).

وتبنّى بيرس عقيدة (العلامة الفكر) وهي منهج للتأكد من معاني الكلمات الصعبة والتصورات التجريدية.

لقد سارت التداولية منذ ذلك الوقت في اتجاهين هما: الدراسات اللسانية والدراسات الفلسفية. ففي الاتجاه الأول استعملت التداولية بوصفها جزءًا من السيميائية اللسانية وليس بعلاقتها بأنظمة العلامات عموماً. وما يزال هذا المنحى اللساني قائماً لحد الآن في اللسانيات الأوربية، أما في الدراسات الفلسفية وخصوصاً في إطار الفلسفة التحليلية، فقد خضع مصطلح التداولية إلي عملية تضييق في مجاله. وقد كان للفيلسوف والمنطقي كارناب دوره، فقد ساوى بين التداولية والسيمياء الوصفية.

لكن ما يهمنا منه، اتجاه معظم التفسيرات اللسانية لتكون داخلية بمعنى أن السمة اللغوية تفسر بالإشارة إلى سمة لغوية أخرى أو إلى جوانب معينة من داخل النظرية، وظهرت الحاجة إلى تفسير ذي مرجعية خارجية وهنا ظهرت الوظيفية اتجاهاً ممهداً للتداولية.

مهام التداولية

تتلخص مهام التداولية فيما يلي(12):

- دراسة "استعمال اللغة" التي لا تدرس "البنية اللغوية" ذاتها، ولكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي باعتبارها "كلاما محددا "صادرا من "متكلم محدد" وموجَّها إلى "مخاطب محدد" بـ"لفظ محدد" في "مقام تواصلي محدد" لتحقيق "غرض تواصلي محدد."
- شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.
- بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر.
- شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرف في معاجلة الملفوظات.

وعليه فإن بعض الدارسين يعولون على التداولية في تحقيق مجموعة من الرهانات تعبر عنها الأسئلة التالية(13):

- كيف نصف الاستدلالات في عملية التواصل، علما بأن الاستدلالات التداولية غير مُعقلنة، وربما كانت غير مُقنِعة في كثير من الأحيان؟
- ما هو نموذج التواصل الأمثل؟ أهو الترميز أم الاستدلال؟
- ما هي العلاقة بين الأنشطة الإنسانية الآتية: اللغة والتواصل والإدراك؟ وما هي العلاقة بين الفروع المعرفية المشتغلة بهذه الأنشطة (أي علم اللغة وعلم التواص وعلم النفس المعرفي)؟

المطلب الثاني: الرواية التاريخية

الرواية نص أدبي نثري سردي، يتميز بالخيال في كثير من إنتاجاته، يحاول التقاط ما هو جوهري وجدلي في علاقة الإنسان بنفسه وبالتاريخ، لتسهم بشكل فاعل وحاضر في تقديم صورها لهذه العلاقة وفق منظورها الفني الخاص، وضمن حقول الفن والآداب المختلفة، جنباً إلى جنب مع العلوم الإنسانية الأخرى.

وتشترك الرواية بعناصر كثيرة كالإنسان والزمان والمكان، لذلك يمكن القول بأنها تاريخ متخيّل داخل التاريخ الموضوعي(14).

يعرّف جورج لوكاتش الرواية التاريخية بأنّها"رواية تاريخية حقيقية، أي رواية تثير الحاضر، ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم السابق للذات(15). أو هي: "عمل فنّي يتخذ من التاريخ مادة له، ولكنّها لا تنقل التاريخ بحرفيته، بقدر ما تصوّر رؤية الفنّان له وتوظيفه لهذه الرؤية للتعبير عن تجربة من تجاربه، أو موقف من مجتمعه يتخذ من التاريخ ذريعة له(16).

فالتاريخ منظومة من الأحداث والتمثلات لواقع قائم، متجه نحو الماضي، في حين يكاد العمل التاريخي يكون منظومة من الأحداث والتمثلات لواقع ممكن، متجه نحو المستقبل. ولعل هذا يجعل المسافة بين الواقع والقائم والواقع والممكن تماثل المسافة التي يختزلها سؤال الكتابة بين الحقيقة والاحتمال في الرواية التاريخية.

والنّاظر إلى الحقبة الزمنية التي تطورت فيها الرواية التاريخية يمكنه أن يعيد ازدهار الرواية التاريخية إلى عاملين:

أولاً. ارتباط ذلك القصص بالحركات الثورية الإسلامية منها والقومية، إذ إنّ كتابتها وقراءتها كانت نوعاً من مقاومة الاستعمار، وكان يلجأ إليها الأديب تعبيراً عن شعوره القومي الذي يخفيه خشية من بطش المحتل. وهذا ما نجده في الرواية الجزائرية.

ثانياً. وجود هذا النوع من القصص كان صدى للنزعة العامّة للعصر حينذاك التي كانت تدعو إلى إحياء التراث الإسلامي والمحافظة عليه لمواجهة التيارات الأوروبية الوافدة.

من هنا نستطيع التأكيد بأنّ الرواية التاريخية استطاعت أن تعبر عن التيارات الفكرية التي كان يموج فيها الواقع، وتفرضها الأحوال المعيشية والظروف السياسية والاقتصادية.

المبحث الثاني: آليات تطبيق المنهج التداولي على رواية الأمير

يقوم التحليل التداولي على دراسة استعمال اللغة في إطار العلاقة بين المتلفظ والمخاطب، في إطار موقف كلامي ملموس، كما يهتم بكل ما يعتري هذه العلاقة من ملابسات وشروط مختلفة، أي أن التداولية تدرس كل العلاقات بين المنطوقات اللغوية وعمليات الاتصال والتفاعل، لذلك فمقاربتنا لرواية الأمير لواسيني لعرج وفق المنهج التداولي يكون من خلال تعرضنا للآليات التالية:

المطلب الأول: السياقcontexte

تعد الرواية التاريخية منظومة لغوية منتجة مسبقا وتمتاز بثبوت المعنى، لكن قراءتها والتعامل بها بين أفراد المجتمع يكون خاضعا لاعتبارات مقامية وتواصلية معينة، وهذا يتطابق مع المقولة المشهورة "لكل مقام مقال"، فالمتلقي يستحضر أثناء التلقي بعضا من المقامات لغرض تقوية كلامه أو اختبار ذكائه وما إلى غير ذلك من الأغراض، إلا أنهم لا يستعمل ما تجود عليه به ذاكرته دون مراعاة السياق، فالسياق له أثر بالغ الأهمية في عملية التخاطب وتأثيره في المواقف بتعديلها أو تبديلها.

فدراسة التلفظ وفق منظور تداولي للرواية عموما والرواية التاريخية خصوصا لابد أن يكون في إطار سياق معين، فهناك عوامل كثيرة يجب أن تأخذ بعين الاعتبار في عملية

التلفظ مثل الحالة النفسية للشخصيات والنبرة والمحيط المادي والاجتماعي وغير ذلك، فانطلاقا من هذه الاعتبارات التي اهتمت بها التداولية اعتبرت تشابكا للكثير من التيارات، ومنهج في تحليل الخطاب أكثر منها اتجاه نقدي محدد، فهي تضم تقريبا كل الاتجاهات الأخرى كالنقد النفسي والاجتماعي وغير أنها تستفيد من هذه العناصر وتربطها بظروف إنتاج الخطاب .

وبناء على ذلك كان لا بد من الأخذ بعين الاعتبار التلفظ والسياق التاريخي والاجتماعي والثقافي الذي قيلت فيه الرواية، لأن السياق يلعب دورا في عملية التلفظ وهو الذي يكسبها المعنى السياقي.

فلا قيمة للمفردات أو العبارات بعيدة عن سياقها، فلا بد من دراسة المفردات والعبارات التي يوجهها المتكلم داخل السياق، ومن خلال الظروف المحيطة به، ومن خلال زمان ومكان التخاطب، لكي تتضح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب والتي يرمي إليها المتكلم.

وقد لاحظنا وجود العديد من أشكال السياق في هذه الرواية نذكر منها:

أولا. السياق التاريخي

لقد وظّف واسيني لعرج بعض الشخصيات الدينية والتاريخية، وهذا ما لمسناه في العنوان وهو الأمير عبد القادر الشخصية الجزائرية الفذة والتي تدور أحداث الرواية عن حياته وسجنه ونفيه. وهناك شخصية تاريخية أخرى مهمة في النص الروائي الذي بين أيدينا وهو شخصية دينية مسيحية فرنسية، وهي شخصية الأسقف أنطوان أدولف ديبوش(1800-1856) (Antoine-Adolphe Dupuch)،الأسقف الأول في الجزائر(17).

يقول الكاتب واسيني عنه:"- مونسينيور أنطوان ديبوش؟كان أبي وأخي، كان كل شيء في حياتي، خدمته أكثر من عشرين سنة جئت معه على هذه الأرض عندما عين أسقفا على الجزائر وصاحبته في كل منافيه إلى أن مات(18).

ومن السياقات التاريخية التي وظفها لعرج واسيني بعض الأحداث والتواريخ التي تجعل الرواية ذات طابع سياقي تاريخي، ومن ذلك التاريخ التي بدأت به الرواية في أول فصولها وهو: 28 جويلية 1864

لقد استعان الكاتب بجملة من الشخصيات والمواقف التاريخية العظيمة في التاريخ الجزائري المجيد ليشير إلى أنّ التدافع بين المسلمين والمسيحيين كان منذ عهد بعيد، إلى عصر الأمير وعصر الروائي. وأنّ الاستقلال كان نتيجة مجموعة من العوامل.

ثانيا. السياق الثقافي

ونعني به استعانة الكاتب بالنصوص الثقافية والدينية، لاسيما أنّ الرواية تعالج قضية دينية وثقافية في السنوات الأولى للاستعمار، لذا كان لابدّ من توظيف عدد من العبارات الدالة عن الدين والثقافة آنذاك، فنجد بعض المصطلحات مثل: شاكر الله على... (19). وكذا الكتاب المقدس(20). ها قد منحك الله ما كنت تنتظره(21).

ثالثا. السياق المعجمي الدلالي

إنّ ممّا يزيد النصّ تماسكا هو تعدّد الدلالات التي يرمي إليها واسيني لعرج، فالمتلقي حين يفتّش عن معاني قوله في عنوان الفصل الأوّل من الرواية (باب المحن الأولى) وقوله (لا شيء إلى الصمت والظلمة) وقوله (تبدو كظلال داكنة) (أضواء خافتة)...

فحين نمعن في المعاني نجد ها تحق محق معجمي في من اليأس والقنوط والمعاناة ما فيه، فهذا الدلالات تدل على سياق معجمي ظاهر للعيان

فإذا كانت الشمس ذات إيحاءات دلالية تنمّ عن النور والعلم والمعرفة، فأن الظلال والأضواء الخافتة توحي بالجهل والمعاناة والظلم والنفي، كما أن استعماله للظلّ يريد به استثمار الأمل لتحقيق مآرب الحياة والهروب من الواقع المرير إلى الأمل الفسيح.

المطلب الثاني: أفعال الكلام

يطلق كثير من الباحثين على هذه الظاهرة اللغوية، تداولية أفعال الكلام ويسميها البعض أفعال اللغة، وهي نظرية انطلقت من فكرة جوهرية، أسس لها "أوستن John Langshaw Austin" وتلميذه "سارل Searle John" تتمثل في أن وظيفة اللغة الأساس لا تكمن وصف العالم أو التعبير عن الأفكار أو التأمل ونقل المعلومات-أي التوجه الوصفي الذي ندّد به "أوستن" وأسماه الوهم الوصفي- بقدر ما هي مؤسسة تعمل على تحويل الأقوال إلى أفعال ضمن سياقات خاصة.

يفهم من هذا أن هناك أقوالا تتم في إطار اجتماعي ومؤسساتي تصبح أفعالا منجزة بمجرد النطق بها، مثل قول الإمام قبل الصلاة:" قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله"،أو قول القاضي :"فتحت الجلسة".

فالفعل الكلامي هو كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، ويعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعال قولية لتحقيق أغراض إنجازية؛ كالطلب والأمر والوعد والوعيد، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول، ومن ثم فهو فعل تأثيري؛ أي يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا أو مؤسساتيا، ومن ثم إنجاز شيئ ما.

ويقسم الباحثون هذه الأفعال اللغوية إلى أفعال مباشرة مثل أفعال العقود:(زوج، طلق، باع، اشترى، بايع وعاهد ...) و وأفعال غير مباشرة، مثل قول أحد للآخر "هل بإمكانك أن تأتيني بقلم؟" فظاهر هذا الكلام استفهام ولكن دلالته تشير إلى طلب بتقديم القلم

وعليه فإن المنطلق الأساس لهذا التوجه، يعني القطيعة مع نظرية "تشومسكي" التي ترى بأولوية النحو، ونظرية"سوسير" التي ترى بأولوية اللسان.وبذلك فاللغة حسب " أوستن" وفلاسفة اللغة، ليست مجرد وصف للعالم، بل هي فعل يؤثر في الواقع ويعدل في السلوك ويثير ردود الأفعال

وتعتبر هذه الظاهرة اللغوية جوهر إنتاج الأعمال الأدبية، خاصة في الرواية والشعر. فالسارد عندما يقوم بعملية الحكي لا يقصد تقديم سلسلة من الأحداث إلى المتلقي، بقدر ما يكون هدفه إحداث أثر ما في متلقيه، وبذلك فإن عملية السرد مثلها مثل العمليات الخطابية الأخرى تهدف إلى إيصال فكرة ما إلى المتلقي أو تضليله عنها.

وعلى هذا الأساس، يبدو أن هذه الأفعال تعمل على تحديد الرؤية السردية"التي ترتبط ارتباطا وثيقا بأحد أهم مكونات الخطاب السردي المتمثل في الراوي وعلاقته بالعمل السردي بوجه عام وذلك لاعتبار أن الحكي يستقطب دائما عنصرين أساسيين بدونهما لا يمكننا أن نتحدث عنه.هذان العنصران هما :القائم بالحكي ومتلقيه وبمعنى آخر الراوي والمروي له".وهذه الرؤية لا تتم دون منظومة سردية تؤطرها أفعال لغوية تتم من خلال عملية تفاعلية بين عنصرين اثنين هما المرسل والمتلقي من خلال عملية تفاعلية.

ومن مظاهر ذلك ما نجده في أفعال منظومة السرد عند الروائي واسيني لعرج:

أولا. أفعال الكلام من حيث الإنجاز

قد ميز أوستين بين ثلاثة أفعال يمكن أن نوظفها في رواية الأمير على النحو التالي:

1. الفعل التلفظي

وهو نفسه الذي يعني النشاط اللغوي الصرف، ويدل على إنتاج قول ذي دلالة تخضع للتركيب.

2. الفعل الإنجازي

والذي يدل على عمل، أي العمل الذي ينم عن الحديث والذي يمارس قوة على المتخاطبين.

3. الفعل التأثيري

ويدل على الحديث بوصفه قادرا على إحداث آثار ثانوية مترتبة على الفعل الإنشائي، ولكل كلام أثر يمتد بحيث يتجاوز اللحظة التي قيل فيها.

ويمكننا تلخيص ذلك بتحليل ما وجدناه في هذه الرواية عند واسيني لعرج: بالعبارة التي قالها الصياد المالطي عندما رأى جون وقد تعب كثيرا: لا تهتم يا سيدي جون. ما تزال البركة. نمشي(22).

إن فعل الكلام إنما هو إنتاج هذه الجملة في حد ذاته. فقول: "لا تهتم" ليس أمرا وإنما هو تنفسي من الصياد لمن يسمى جون. وقوله "لا تزال البركة" يعني أنك لزلت صغيرا في عمرك وصحيحا في بدنك وسريعا في حركاتك. ثم في الأخير يلتمس منه المشي معه. والمشي هنا لا يدلّ على المشي بالرجل لأنهما سيمتطيان قاربا ويتوجهان إلى البحر

أما الفعل الإنشائي فيتمثل في الاستئناس التسهيل و والرضا، في حين أن الفعل التأثيري يتعلق في هذه الحال، باستثارة الأمل أو والاطمئنان على الرغم ممن كبر السن. (وهو نتيجة للفعل الإنشائي).

ويشترط أوستين في تحقيق الفعل الإنشائي عامل القصد: والمقصود بذلك هو أن الفعل الإنشائي الذي يصدر عن شخص، يرفض، في قرارة نفسه، دلالته، يعتبر فعلا غير متحقق، فإذا قال شخص معزيا شخصا آخر: إنا لله وإنا إليه راجعون وهو لا يشعر بأي أسف نحو ذلك الشخص، فلا نقول إن فعل التعزية قد تحقق، لأن المتكلم قد يقصد أشياء أخرى وراء تلفظه بصيغة التعزية. وكذلك قول جون حركاتي صارت اليوم ثقيلة جدا(23).

فالقصد منها التعب وعدم القدرة على المشي لكبر السن لا أن الحركة أصبح ثقيلة فحسب.

أما من حيث الدلالة فقد قسم أوستين أفعال الكلام إلى مجموعات وظيفية، لأنها كثيرة ويستحيل حصرها، بل إن إحصاءها العددي لن يفيد شيئا في فهم وظائفها في الحديث، وهو تقسيم غير مستفيض باعتراف أوستين ذاته. و من تلك التقسيمات والتي نجد الكاتب واسيني لعرج في رواية الأمير قد وظفها:

1. الأفعال الدالة على الحُكم

وهي الأفعال التي تبت في بعض القضايا التي تتمركز في سلطة معترف بها رسميا أو سلطة أخلاقية، ولا يُشترط أن تكون دائما إلزامية، فهي قد تدل على التقييم أو التقويم أو الملاحظة، وتشمل على سبيل المثال أفعال: التبرئة، الحكم، التقدير، التحليل، إصدار مرسوم... وقد شبه بعض الباحثين فعل الحكم بالفعل القانوني المختلف عن الفعل التشريعي والتنفيذي الذي يدخل ضمن مجموعة أفعال الممارسة.

2. أفعال الممارسة

هي الأفعال التي تجلي ممارسة الحق، ولها القوة في فرض واقع جديد مثل: التعيين (الرسمي)، الاستشارة الترشيح... وهو تحكيم أكثر منه تقدير وقرار أكثر منه حُكم.

3. أفعال الوعد

هي أفعال الكلام التي تؤسس لدى المتكلم إلزامية القيام بعمل ما معترف به من قبل المخاطب. إن المتكلم بتفوهه بكلام يؤسس به وجوب القيام بمحتوى قوله، ويحمل المخاطب على الاعتراف بهذه الإلزامية، مثال ذلك : القسم، الرهان، التعهد، الضمان ...

4. أفعال السلوك

وهي تشكل مجموعة متباينة ترتبط بالسلوك الاجتماعي للمتكلم، وهي التي تحمل المتكلم على اتخاذ الموقف المنصوص عليه في القول إزاء المخاطب مثل: الاعتذار، التهنئة، التعزية، الشكر...

5. أفعال العرض

هي أفعال تدخل في علاقة مع ما يقوله المتكلم عند الحديث عن طريق الحجاج، مثل: الإثبات والتأكيد والنفي والوصف والتعريف والتأويل والشرح والتوضيح...

كل هذه الأفعال الدالة والموحية وظفها الكتاب في عباراته ونصوصه وجمله وهذا يدل على أن الآلية التداولية في أفعال الكلام قد رسمت خطوطها في هذه الرواية التاريخية.

نتائج الورقة

- هناك اختلاف كبير في المصطلحات المتداولة لتسمية هذا العلم ولكن التداولية كلمة عربية وخفيفة الوقع وهي موافقة تماماً لمعنى (البراقماتية) التي هي محور هذا العلم في صورته المعاصرة كما ورد ذلك في المعاجم العربية والأجنبية.
- مرّت التداولية بمراحل عديدة فقد بدأ مختلطاً بكثير من العلوم الأخرى إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم.
- من مبادئ التداولية المقصدية والاعتماد على السياق في فهم الملفوظ الروائي.

الهوامش

. جميل حمداوي، الصحراوي، التداولية وتحليل الخطاب، شبكة الأوكة، ص: 5.

2. ابن منظور محمد، لسان العرب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط:1، 1988م، ج: 5، ص: 328.

3. سورة الحشر، الآية: 7.

4. سورة آل عمران، الآية: 140.

5. الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط:1، 2000م، ج: 7، ص: 239.

6. أبو داود، مسند أبي داود، تح: محمد بن محسن التركي، مصر، دار الهجر، ط:1، 1999م، مادة الأدب، ج:2، ص: 242

7. الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998م د.ط، ص: 303.

8. مسعود الصحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية " في التراث اللساني العربي، لبنان، بيروت، دار الطليعة، د.ط، ص: 15.

9. مسعود الصحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص: 16.

10. ينظر: مسعود الصحراوي، مرجع سابق، ص: 25.

11. حسين خمري، نظرية النص من بنية المعنى إلى السيميائية الدال، منشورات الاختلاف الدار العربية للعلوم ناشرون، ص/ص: 162-182.

12. مسعود الصحراوي، مرجع سابق، ص/ص: 26-27.

13. مسعود الصحراوي، مرجع سابق، ص: 27.

14. محمود أمين العالم، الرواية بين زمنيتها وزمانها، فصول، مجلد 1993م، ع: 12، ص: 13.

15. لوكاتش، جورج، الرواية التاريخية، ص: 89.

16. عبد الحميد القط، بناء الرواية في الأدب المصري الحديث، ص: 33.

17. إبراهيم ياسين، موقف المغرب من الاحتلال الفرنسي للجزائر: 1830-1874، رسالة جامعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط -أكدال، 1987. رقم: ر.ج. 964,02.

18. واسيني لعرج، رواية الأمير، ص:.11

19 نفسه.

20 نفسه، ص: 14.

21. نفسه، ص: 19.

22. نفسه، ص: 10.

23. نفسه، ص: 10.